تطور التفسير الإباضي في الجزائر
دراسة تقييمية في المنهج وتفسير بعض الآيات العقدية

The evolution of Ibadhi interpretation in Algeria

Evaluation study in the curriculum and the interpretation of some nodal verses

الدكتور محمد الصالح ستي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ـ الجزائر

Taleb.se@gmail.com

ملخـــــص:

تعد فرقة الإباضية من الفرق الإسلامية التي يكتنفها غموض وعزلة شديدين، فهذه الفرقة ومنذ نشأتها بقيت متقوقعة على نفسها منغلقة على أفكارها، كما أن إنتاجها التفسيري يتميز بالقلة والشحة نظرا لبعض الظروف التاريخية والاجتماعية.

وكدراسة لتطور التفسير الإباضي في الجزائر يمكن القول أن التفسير الإباضي القديم يتميز بالتعصب للمذهب عقيدة وفقها، ولي أعناق بعض الآيات، وبث جملة من المطاعن والشبهات، والشدة في الرد على المخالفين، أما التفسير الإباضي المعاصر فقد شهد جملة من الإصلاحات والمراجعات لآراء المتقدمين، ومرونة وانفتاحا على آراء المخالفين، وبعدا عن التعصب والخوض في مسائل الخلاف، واستعدادا جيدا للوفاق والتقارب مع أهل السنة.

الكلمات المفتاحية: التفسير، المنهج، الإباضية، الجزائر.

Abstract :

The Ibadi sect is one of the Islamic sects shrouded in ambiguity and extreme isolation. Since its inception, this sect has remained closed to itself, closed to its ideas, and its exegetical production is characterized by lack and scarcity due to some historical and social circumstances.

As a study of the development of the Ibadhi interpretation in Algeria, it can be said that the old Ibadhi interpretation is characterized by intolerance to the doctrine of doctrine and jurisprudence, and the necks of some verses, and the broadcast of a number of complaints and suspicions, and severity in responding to the violators, while the contemporary Ibadhi interpretation has witnessed a number of reforms and revisions to the opinions of the applicants, flexibility and openness On the opinions of opponents, and away from intolerance and delving into issues of disagreement, and a good preparation for reconciliation and rapprochement with the Sunnis.

key words: Interpretation; curriculum; Ibadism; Algeria.

مقدمـــــــة:

الحمد لله حمدا طيبا مباركا كثيرا، والصلاة والسلام على المبعوث للناس بشيرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه اللآلئ وسراجا منيرا، وبعد:

يعد بلد الجزائر حاضنة من حواضن العلم والمعرفة في الشمال الافريقي، ورحما ولاّدة للعلماء في شتى الميادين، فرغم ما لاقاه من ويلات الحروب والدمار، إلا أن نور العلم وضياء المعرفة لم يأفل فيه يوما، ولا أدل على ذلك من أن جل التفاسير الإباضية ـ على قلتها ـ القديمة منها والحديثة المطبوعة منها والمفقودة جزائرية المنشأ.

وفرقة الإباضية من الفرق الإسلامية التي يكتنفها غموض شديد، وعزلة كبيرة، فهذه الفرقة ومنذ نشأتها في القرن الهجري الأول على يد مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي؛ بقيت متقوقعة على نفسها منغلقة على أفكارها، ولم يكن لها تواجد إلا في بعض مناطق العالم الإسلامي؛ ومنها جنوب الجزائر وبمنطقة وادي ميزاب بمدينة غرداية تحديدا.

ولا شك أنّ ديدن كل الفرق والطوائف المستقيمة منها والمنحرفة أن تعمد إلى القرآن الكريم؛ بغية تبرير عقائدها وتصويب آرائها، وسوف نحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن ندرس كيفية تعامل الفرقة الإباضية في الجزائر مع تفسير القرآن الكريم عبر عصور مختلفة، وعليه يمكن طرح التساؤل الآتي: ما موقف الفرقة الإباضية في الجزائر من تفسير القرآن الكريم؟ وهل ثمة فروق بين التفاسير الإباضية القديمة والتفاسير المعاصرة؟

لبيان ذلك سأقوم بدراسة تطور التفسير الإباضي في الجزائر عبر ثلاث مراحل: المرحلة المتقدمة ويمثلها تفسير هود بن محكّم الهواري، المرحلة المتأخرة ويمثلها تفسير هميان الزاد وملخصه تيسير التفسير لمحمد بن يوسف اطفيّش، المرحلة المعاصرة ويمثلها تفسيري: في رحاب القرآن لإبراهيم بن عمر بيوض ونفحات الرحمن في رياض القرآن لمحمد بن إبراهيم سعيد كعباش، وسوف لن أقوم بدراسة هذه التفاسير دراسة شاملة ـ فطبيعة ومحدودية مثل هذه البحوث لا تسمح بذلك ـ بل سأقتصر على تقديم تعريف موجز بصاحب التفسير، وذكر منهجه العام في تفسيره باختصار، ثم أعرض نماذج من تفسيره لبعض آيات العقائد وكيفية تعامله مع المخالف.

وسأعتمد خطة تتضمن:

مقدمـــــــة

المحور الأول: التعريف بفرقة الإباضية.

المحور الثاني: أهم الأصول العقدية والمذهبية لفرقة الإباضية.

المحور الثالث: الإنتاج التفسيري عند الإباضية.

المحور الرابع: دراسة وتقييم التفسير الإباضي عبر مراحل تطوره.

الخاتمـــــة: وتحتوي على نتائج الدراسة وبعض التوصيات.

المحور الأول: التعريف بفرقة الإباضية

الإباضية فرقة إسلامية تنسب إلى عبد الله بن إباض، وهو عبد الله بن إباض بن تميم اللات بن ثعلبة، من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس آل مقاعس التميمي، كان من أهل العراق، جاء إلى الإمام جابر بن زيد لأخذ العلم عنه، وكان يناظره في أموره وفي مهماته الدينية.[1]

ولا يُعرف تاريخ مولد عبد الله بن إباض ولا تاريخ وفاته بالتحديد، ولكنه أدرك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو شاب، وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان المتوفى عام 86 هـ، وبذلك يكون قد عاش في نفس الفترة التاريخية التي وُجد فيها أبو بلال وجابر بن زيد ونافع بن الأزرق وغيرهم.[2]

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك خلافا بين الإباضية حول فتح همزة أباض أو كسرها، ففي عمان يفتحون الهمزة، وبذلك تصبح النسبة إلى أباض (الأباضية)، وفي شمال أفريقيا يكسرون الهمزة، فتصبح النسبة إلى إباض (الإباضية).

ورغم نسبة هذه الفرقة إلى عبد بن إباض إلا أن المصادر الإباضية تُجمع على أن ابن إباض لم يكن إمامهم الحقيقي ومؤسس دعوتهم، وإنْ كان من علمائهم ورجالهم البارزين في التقوى والصلاح[3]، بل ينتسبون إلى أبو الشعثاء جابر بن زيد، ويعتبرونه مؤسس مذهبهم وإمامهم الأول، رغم براءته منهم.

وجابر بن زيد هو جابر بن زيد الأزدي اليحمدي، مولاهم، البصري، الخوفي، والخوف ناحية من عمان، كان عالم أهل البصرة في زمانه، يُعدُّ مع الحسن وابن سيرين، وهو من كبار تلامذة ابن عباس، حدث عنه عمرو بن دينار، وأيوب السختياني، وقتادة، وآخرون، روى عطاء عن ابن عباس قال: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عمّا في كتاب الله.

ورُوِي عن ابن عباس أنه قال: تسألوني وفيكم جابر بن زيد.

وعن عمرو بن دينار، قال: ما رأيت أحدا أعلم من أبي الشعثاء.[4]

ورغم هذا الانتساب فإن الثابت عن جابر بن زيد أنه كان يدفع ما ادعاه الإباضية فقد روى ابن سعد في الطبقات قال: أخبرنا سعيد بن عامر وعفان بن مسلم قالا: حدثنا همام عن قتادة عن عزرة قال: قلت لجابر بن زيد: إن الإباضية يزعمون أنك منهم قال: «أبرأ إلى الله منهم» قال سعيد في حديثه: «قلت له ذلك وهو يموت».[5]

وفي رواية أخرى قال: أخبرنا عارم بن الفضل قال: حدثنا حماد بن زيد، عن هشام، عن محمد قال: «كان بريئا مما يقولون، يعني جابر بن زيد» قال عارم: « وكانت الإباضية ينتحلونه »[6].

---

[1] : طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأباضي، سالم بن حمود، ص77.

[2] : ينظر: الإباضية في ميزان أهل السنة، عبد الله بن مسعود، ص 08.

[3] : ينظر: نشأة الحركة الإباضية، عوض خليفات، ص 84.

[4] : ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 482/481/4.

[5] : الطبقات الكبرى، ابن سعد، 181/7.

[6] : المصدر نفسه، 181/7.

وأما عن مرجعهم وعمدتهم في الحديث فهو مسند الربيع بن حبيب؛ الذي يرى الإباضية أنه أصح الكتب بعد كتاب الله، وأعلاها سندًا، وهو مُقدَّم عندهم على صحيحي البخاري ومسلم، وقد بلغ عدد الأحاديث في هذا المسند (742) حديثًا، جميعها من رواية الربيع بن حبيب عن أبي عبيدة، سوى خمسين حديثًا، منها حديثان يرويهما الربيع عن النبي ﷺ بلا إسناد، ومنها واحد وعشرون حديثًا مُعْضَلَة يرويها الربيع عن الصحابة رضي الله عنهم، وبينه وبينهم مفازة، ومنها ثلاثة وعشرون حديثًا لم يتّضح له فيها شيخ كأنها مُعَلَّقة؛ كقوله: « قال جابر: قالت عائشة رضي الله عنها »، لكن يظهر أنها عطف على الأحاديث التي قبلها، وهي من روايته عن أبي عبيدة، ومنها أربعة أحاديث من روايته عن غير أبي عبيدة، روى اثنين منها عن شيخٍ يقال له يحيى بن كثير، وواحدًا عن شيخ يقال له عبد الأعلى، وواحدًا عن شيخ يقال له ضمام بن السائب، وليس له في هذا المسند شيخ غير أبي عبيدة، وهؤلاء الثلاثة.[7]

وأما عن مركز المذهب الإباضي فقد كان في البصرة حيث نشأ فيها، ثم اتصل بعُمان، وقامت له بالمغرب دولة، وامتد المذهب إلى اليمن وإلى خراسان وإلى مصر وإلى الجزيرة العربية.[8]

أما في وقتنا الحالي فتنتشر الإباضية في سلطنة عُمان وجبل نفوسة وفي زوارة في ليبيا ووادي مزاب في الجزائر وجربة في تونس وبعض المناطق في شمال أفريقيا إضافة إلى جزيرة زنجبار فيما يسمى الآن تنزانيا.[9]

---

[7] : الإباضية في ميزان أهل السنة، عبد الله بن مسعود السلفي، ص 50.

[8] : طلقات المعهد الرياضي، سالم بن حمود، ص 79-80.

[9] : اتجاهات التفسير، فهد الرومي، 282/1.

المحور الثاني: أهم الأصول العقدية والمذهبية لفرقة الإباضية

تجمع كتب الفرق أن الإباضية فرقة من فرق الخوارج الأربع الكبرى، ذلك أن عبد الله بن إباض الذي تنتمي إليه نشأ خارجيا، وهو يعد من رؤوس الخوارج في زمنه، ويقرن تاريخه ومواقفه مع كبارهم كنافع بن الأزرق، وأبي بلال مرداس، وعبد الله بن الصفار السعدي، وحنظلة بن بيهس، وأبي طالوت، ونجدة بن عامر وغيرهم.

فكان عبد الله بن إباض واحدا منهم، خارجا عن جماعة المسلمين وعلى أئمتهم، منابذا للأئمة العداء، كما كان ناقما على عثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهما، وكان يعلن ذلك، وإنما كان كغيره من مؤسسي فرق الخوارج، فقد كانوا تحت قيادة واحدة حين أعلنوا عداءهم لابن الزبير، إلا أنهم حين انفضوا عن ابن الزبير ورأى نافع بن الأزرق أن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو القتل، وأنهم لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا ميراثهم ولا الإقامة بينهم، حينئذ خالفه ابن الصفار فأنشأ فرقة " الصفرية "، وخالفه نجدة بن عامر فأنشأ فرقة " النجدات "، وخالفه ابن إباض وقال: إن المخالفين براء من الشرك، ولكنهم كفار بالنعم، ولا يحل لنا إلا دماءهم وبهذا نشأت فرقة الإباضية، وهذا هو جوهر الخلاف بين الإباضية وغيرهم من فرق الخوارج.[10]

وإن كان غالب الإباضة اليوم يتبرؤون من الانتماء إلى فرقة الخوارج، ويعتبرون أن هذا النعت مما ألصق بهم زورا وبهتانا، فنحن نقر بأن الإباضية هي أعدل طوائف الخوارج، وأقربها إلى أهل السنة، إلا أنه بالرجوع إلى أصولهم العقدية فهم متفقون مع سائر الفرق الأخرى، ولا يختلفون عنهم إلا في نظرهم إلى حكم المخالف، كما سبق الإشارة، وفي بعض المسائل الجزئية، وهذا ما سيتضح جليا عند الإشارة إلى أهم أصولهم العقدية والمذهبية.

وسأذكر أهم هذه المعتقدات والآراء بشكل موجز، ملخصة من أشهر كتبهم في العقيدة والتاريخ[11]، وهذا لأن طبيعة البحث لا تسمح بالتوسع في هذا الباب، ومن رام الاطلاع والتوسع فليرجع إلى الكتب المشار إليها.

1- يظهر من خلال كتبهم تعطيل الصفات الإلهية، وهم يلتقون إلى حد بعيد مع المعتزلة في تأويل الصفات، ولكنهم يدّعون أنهم ينطلقون في ذلك من منطلق عقدي، حيث يذهبون إلى تأويل الصفة تأويلاً مجازياً بما يفيد المعنى دون أن يؤدي ذلك إلى

---

[10] : ينظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ناصر بن عبد الكريم العقل، ص 62-63.

[11] : ينظر: طلقات المعهد الرياضي، سالم بن حمود، ص 60-120. ـ جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، عبد الله بن حميد بن سلوم، 1/ 12-20. ـ مختصر تاريخ الإباضية، أبو الربيع سليمان الباروني، ص60- 68. ـ الإباضية بالجريد، صالح باجية، ص186-187. ـ العقود الفضية في أصول الإباضية، سالم بن حمد الحارثي، ص 295-306. ـ الحق الدامغ، أحمد الخليلي، ص 05 وما بعدها. ـ دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، بكير بن سعيد أعوشت، ص 38-92. وينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حامد الجهني، 2/25-5.

التشبيه، وهم يرجعون الصفات إلى الذات، فيقولون أن الله عالم بذاته وقادر بذاته وسميع بذاته إلى آخر الصفات، فالصفات عندهم عين الذات.

2- ينكرون رؤية المؤمنين لله تعالى في الدنيا والآخرة؛ ويعتقدون أن القول بالرؤية يهدم التوحيد من أساسه، ويقضي عليه من أصله فإن الرؤية توجب الحلول والله منزه عنه وتثبت التحيز، وتقرر الظرفية، وتقضي بالجهة ونحو ذلك، فهذه كلها قوادح في صحة الألوهية، تعالى الله عز وجل عنها، ولم تبق صفة من الصفات الإلهية ثابتة على أساسها ولا قائمة على قواعدها، فالذي يُرى لا يصلح أن يكون ربا.

3- في مسألة خلق القرآن انقسمت الإباضية في ذلك إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: القول بخلق القرآن موافقة للجهمية والمعتزلة، وهو القول المشتهر عند متقدميهم وأكثر معاصريهم.
- القسم الثاني: القول بأن القرآن غير مخلوق موافقة لأهل السنة.
- القسم الثالث: الواقفة، الذين توقفوا في مسألة خلق القرآن فلم ينفوا ولم يثبتوا.

4- يعتبرون مرتكب الكبيرة موحد عاصي ويطلقون عليه كلمة كافر، ويعنون بها كافر النعمة ويجرون عليه أحكام الموحدين، فالكفر عندهم كفر نعمة ونفاق وهو هذا، وكفر شرك وجحود وهو الذي يخرج الإنسان من الملة الإسلامية.

ومن مات على كبيرة دون توبة فهو خالد مخلد في نار جهنم، ولا يخرج منها، إلا أنه أقل عذابا من المشركين الجاحدين، وهم بذلك يتفقون مع بقية الخوارج والمعتزلة في تخليد العصاة في جهنم.

5- يرون أن الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر من الأمة المحمدية، ولا ينالها إلا من مات منهم على الوفاء والتوبة النصوح.

6- يؤولون بعض مسائل الآخرة تأويلاً مجازياً كالميزان والصراط، فيرى جمهورهم أن الميزان ليس بحسي والله غني عن الافتقار إليه، وإنما هو تمييز معنوي للأعمال، كيف والأعمال ليست بأمور محسوسة حتى توزن بميزان من نوعها، والصراط أيضا ليس بحسي، وإنما هو دين الله الحق وطريقه القويم، فمن اتبعه فاز ونجا ومن حاد عنه خسر وهوى، ومنهم من يجيز أن يكون الميزان والصراط حسيّين.

7- لهم في عدالة الصحابة ثلاثة أقوال:

- القول الأول : الصحابة كلهم عدول إلا من فسقه القرآن كالوليد بن عقبة.
- القول الثاني: الصحابة كلهم عدول وروايتهم كلها مقبولة إلا في الأحاديث المتعلقة بالفتن ممن خاض في الفتنة.
- القول الثالث: الصحابة كغيرهم من الناس .

8- يعتقدون أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام هي دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، ويعتبرون بأن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والخيل وكل ما فيه من قوة الحرب حلال وما سواه حرام.

9- لا يقرون لأئمة المسلمين ـ من دونهم ـ بإمامة شرعية، عدا أبا بكر وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، أما عليا فقد خرجوا عليه لقبوله التحكيم؛ وبذلك فقد فسخ إمامته وتنازل عنها، وأما عثمان فيقرون له بالإمامة في سنتيه الأولى والثانية، أما بعد ذلك فقد بدل وغير.

10- الإمامة بالوصية باطلة في مذهبهم، ولا يكون اختيار الإمام إلا عن طريق البيعة، كما يجوز تعدد الأئمة في أكثر من مكان، وينفون شرط القرشية في الإمام إذ أن كل مسلم صالح لها، إذا ما توفرت فيه الشروط، والإمام الذي ينحرف ينبغي خلعه وتولية غيره.

11- لا يوجبون الخروج على الإمام الجائر ولا يمنعونه، وإنما يجيزونه، فإذا كانت الظروف مواتية والمضار فيه قليلة فإن هذا الجواز يميل إلى الوجوب، وإذا كانت الظروف غير مواتية والمضار المتوقعة كثيرة والنتائج غير مؤكدة فإن هذا الجواز يميل إلى المنع، ومع كل هذا فإن الخروج لا يُمنع في أي حال، والشراء (أي الكتمان) مرغوب فيه على جميع الأحوال ما دام الحاكم ظالما.

12- لديهم نظام اسمه (حلقة العزابة)؛ وهي هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علماً وصلاحاً، وتقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، كما تمثل مجلس الشورى في زمن الظهور الدفاع، أما في زمن الشراء والكتمان فإنها تقوم بعمل الإمام وتمثله في مهامه.

المحور الثالث: الإنتاج التفسيري عند الإباضية

بشكل عام فإن الإنتاج التفسيري عند الخوارج ضئيل جدا، إذ لم يصلنا من تفاسيرهم إلا تأويلهم لبعض آيات القرآن التي كانت مستندا لعقائدهم الخاصة، ولعل سبب ذلك يرجع إلى عوامل ثلاثة:

1- أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية، ومن قبائل تميم على الأخص، وقليل منهم كان يسكن البصرة والكوفة مع احتفاظه ببداوته، فكانوا لغلبة البداوة عليهم أبعد الناس عن التطور الديني والعلمي والاجتماعي، وكانوا يمثلون الإسلام الأول في بساطته، وعلى فطرته، بدون أن تشوبه تعاليم الأُمم الأُخرى، أضف إلى ذلك احتفاظهم بأهم خصائص أهل البدو من سذاجة التفكير، وضيق التصور، والبُعْد عن التأثر بحضارة الأمم المجاورة لهم.

2- انشغالهم بالحروب من مبدأ نشأتهم، وكانت حروباً قاسية وطويلة ومتتابعة، أسلمتهم حروب عليّ إلى حروب الأمويين، وأسلمتهم حروب الأمويين إلى حروب العباسيين التي تركتهم في حالة تشبه الاحتضار، وتؤذن بالفناء، فكان من الطبيعي أن لا تدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف.

3- أن الخوارج – مع ما هم عليه من شذوذ – كانوا يخلصون لعقيدتهم، ويتمسكون بإيمانهم إلى حد كبير، ويرون أن الكذب جريمة من أكبر الجرائم، وبه – عند جمهورهم – يخرج الإنسان من عِداد المؤمنين، فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه، مخافة أن لا يصيبوا الحق فيكونوا قد كذبوا على الله.[12]

وتمثل فرقة الإباضية استثناء في فرق الخوارج، حيث لها بعض المؤلفات في التفسير قديما وحديثا، ولعل ذلك يرجع لكونها أكثر فرق الخوارج استقرارا وبعدا عن النزاع والاقتتال وتعايشا مع غيرها من الفرق والطوائف، ويتمثل الإنتاج التفسيري لفرقة الإباضية في:

1- تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي، من أهل القرن الثالث الهجري. " مفقود "

2- تفسير هود بن محكّم الهوارى، من أهل القرن الثالث الهجري. " مطبوع ".

3- تفسير أبي يعقوب، يوسف بن إبراهيم الورجلاني، من أهل القرن السادس الهجري. " مفقود "

4- داعي العمل ليوم الأمل، للشيخ محمد بن يوسف اطفيّش، من أهل القرن الحاضر." غير تام "

5- هميان الزاد إلى دار المعاد، له أيضاً. " مطبوع "

6- تيسير التفسير، له أيضاً، وهو اختصار لهميان الزاد. " مطبوع "[13]

كما كان لإباضية العصر نشاطا معتبرا في التفسير، ومن التفاسير المعاصرة نذكر:

1- تفسير في رحاب القرآن للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض.

2- تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن للشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش.

3- تفسير جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل للشيخ أحمد الخليلي مفتي سلطنة عمان.

---

[12] : ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، 2/233-234.

[13] : ينظر : المرجع نفسه، 2/232-233.

المحور الرابع: دراسة وتقييم التفسير الإباضي في الجزائر عبر مراحل تطوره

أولا– التفسير الإباضي المتقدم ويمثله تفسير الكتاب العزيز لهود بن محكّم الهواري:

1– التعريف بصاحب التفسير: هود بن محكّم الهواري فقيه إباضي، اشتغل بتفسير القرآن، من علماء النصف الثاني من القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث للهجرة، جزائري المولد والمنشأ، قطنت أسرته جبل الأوراس، كان أبوه قاضياً في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي (208 هـ – 258 هـ)، كانت له منزلة كبيرة في قومه، ويعد تفسيره أول تفسير عرفته الجزائر حسب رأي الأستاذ عمار طالبي.[14]

2– المنهج العام للتفسير:

ذكر محقق هذا التفسير أن هناك صلة وثيقة بين تفسير هود وتفسير يحي بن سلام البصري[15]، رغم أن بينهما قرن من الزمان، ويؤيد ذلك بكثرة الروايات فيه عن علماء البصرة، فقال: " واليوم وبعد أكثر من عشر سنوات من التحقيق والمقارنة والاستقراء، أستطيع أن أقول بدون تردد أن الشيخ هود الهواري اعتمد اعتمادا كثيرا إن لم أقل اعتمادا كليا على تفسير ابن سلام البصري، ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنوانا غير الذي وجدته في المخطوطات، لكان العنوان هكذا: تفسير الشيخ الهواري مختصر تفسير ابن سلام البصري، لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود الهواري ما في ذلك شك، وهذا هو عين الحقيقة والصواب، والأمانة العلمية تقتضيني أن أجلو هذا وأبينه في تقديمي للكتاب "[16].

لكن هود بن محكّم لم يقتصر على اختصار تفسير ابن سلام بل أدخل عليه بعض الروايات والأخبار التي تنصر مذهبه الإباضي، وعليه يمكن وصف تفسيره بأنه تفسير أثري مشوب بالآراء العقدية والفقهية للإباضية.

أما كونه منهجا أثريا، فذلك من جهة أنه مختصر لتفسير يحي بن سلام البصري، لذا فمنهجه من جهة الروايات والآثار هو نفس منهج ابن سلام، لا يختلف عنه إلا في تدخل هود بن محكّم في المواضع التي يريد فيها تأييد مذهبه اعتقادا وفقها.

كما يلاحظ أنه ينقل كثيرا عن علماء الإباضية في روايات كثيرة جاءت منسوبة إلى جابر بن زيد وإلى عبيدة بن مسلم خاصة وإلى عامة علماء الإباضية وفقهائهم الذين يصفهم بقوله أصحابنا.[17]

ومنهجه في ذكر الآثار تجريدها من السند، فيصدّرها بقوله " ذكروا " ثم يسند القول إلى صاحبه دون سرده لسنده إليه، ومن ذلك قوله: ذكروا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا لابن عباس: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل "[18].

كما يذكر الأقوال في المسألة الواحدة دون ترجيح في الغالب.

---

[14] : ينظر معجم المفسرين، عادل نويهض، 712/2-713، التفسير والمفسرون في غرب افريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، 367/1-368.

[15] : هو ابن أبي ثعلبة، أبو زكريا البصري نزيل المغرب بإفريقية، قال أبو عمرو الداني: روى الحروف عن أصحاب الحسن، وغيره، وله اختيار في القراءة من طريق الآثار، سكن إفريقية دهرا، وسمعوا منه: تفسيره الذي ليس لأحد من المتقدمين مثله، وكتابه الجامع، وكان ثقة ثبتا عالما بالكتاب والسنة وله معرفة باللغة والعربية، وُلِد سنة أربع وعشرين ومائة، ومات بمصر بعد أن حج سنة مائتين رحمه الله. (سير أعلام النبلاء، الذهبي، 120/8).

[16] : تفسير الكتاب العزيز، هود بن محكّم الهواري، مقدمة المحقق، 42/1.

[17] : المصدر نفسه، 21/1.

[18] : المصدر نفسه، 61/1.

3- نماذج من تفسيره:

أ- تصرفه في تفسير ابن سلام:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (التوبة 45)، قال ابن سلام: " ﴿ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾: أي شكت في الله عز وجل وفي دينه "[19].

قال هود الهواري: " أي وشكت قلوبهم في أن لا يعذبهم الله بالتخلف عن الجهاد بعد إقرارهم بالله وبالنبي ﷺ ولم يكن ارتيابهم شكًا في الله وإنما كان ارتيابهم وشكهم في أن لا يعذبهم الله بتخلفهم عن نبي الله بعد إقرارهم وتوحيدهم "[20].

ب- تأويله للصفات وتشنيعه على أهل السنة:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ (الفجر 22) قال: " أي جاء أمر ربك والملك، وهم جماعة الملائكة، أي بأمره وبالملائكة صفا صفا، لا كما زعمت المشبهة أعداء الله أن ربهم يذهب ويجيء، لأن الله ليس بزائل ولا متنقل "[21].

ج- إنكار رؤية الله في الآخرة:

عند تفسير قوه تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ (القيامة 22-23)، قال: " قوله عز وجل ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾: أي ناعمة، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾: أي تنتظر الثواب وهي وجوه المؤمنين "[22].

د- إنكاره للشفاعة:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ (البقرة 123) قال: " أي لا ينفع لها أحد عند الله؛ لأنه لا تكون الشفاعة إلا للمؤمنين خاصة "[23].

هـ- خلود أصحاب الكبائر في النار:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ (الحجر 02) قال: " وقد تأوّلت الفرقة الشاكة هذه الآية على غير تأويلها، وردت على الله تنزيله، فقالوا: هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار فيعيّرهم أهل النار ويقولون: قد كان هؤلاء مسلمين فما أغنى عنهم، قالوا: فيغضب لهم ربهم فيخرجهم - زعموا - من النار ويدخلهم الجنة، قالوا: فعند ذلك ﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ ، فزعموا أن الله مخرج أقواما من النار قد احترقوا وصاروا حمما فيدخلون

---

[19] : تفسير الكتاب العزيز، ابن زمنين المالكي، 208/2.

[20] : تفسير الكتاب العزيز، هود الهواري، 135/2.

[21] : المصدر نفسه، 503/4.

[22] : المصدر نفسه ، 444/4.

[23] : المصدر نفسه ، 142/1.

الجنة، فيقول أهل الجنة هؤلاء الجهنميّون، قالوا فيدعون ربهم فيمحي ذلك الاسم عنهم فيُسمون عتقاء رب العالمين، افتراء وكذبا عليه وجحودا بتنزيله، إذ يقول: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ (البقرة 81): أي الشرك، ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ ﴾: يعني الكبائر الموبقة ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ "[24].

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ (الأعرف 51)، قال: " ﴿ وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾: يعني أنه ليس أصحاب النار كلهم جاحدين، يقول: ﴿ وَمَا كَانُواْ ﴾ أي: ولم يكونوا أي أهل النار جميعا بآياتنا يجحدون، أي إن من أهل النار الجاحد بآياتنا وغير الجاحد، وهذا حقيقة التأويل، لأنه قد دُخِلت النار بغير الجحود، دخلها أكلة الربا، وراكبوا الزنا، وقاتلوا الأنفس، وآكلوا أموال اليتامى وأموال الناس بالباطل، وغير ذلك من الكبائر الموبقة، والآية جامعة لجميع الكفار من كافر مشرك، وكافر منافق على المعنى الذي فسرنا، فمن قال: إن أهل النار كلهم جاحدون أكذبه الوجود، فقد دخلها بغير جحود من وصفنا، ومن قال: إنهم جميعا غير جاحدين لقول الله: ﴿ وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ ، أي: إنهم جميعا لم يكونوا جاحدين أكذبه الوجود أن أهل الجحد والإنكار من أهل النار، قال الله: ﴿ وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ ، فانقطعت قصة أهل الجنة وأهل النار هاهنا "[25].

ففي هذا الموضع تحريف واضح لمعنى الآية حتى يوافق معتقده، فقد فسر "ما" بأنها نافية، والصواب أنها مصدرية وليست نافية.

و- القول بخلق القرآن:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (الزخرف3) قال: " وقوله جعلناه؛ أي: خلقناه، كقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفَۢا مَّحۡفُوظٗا ﴾ (الأنبياء 32)، وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ ﴾ (الإسراء 12)، وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء 30)، ونظيره في القرآن كثير "[26].

4- خلاصة تقييمية حول التفسير:

ما يسجل على تفسير هود بن محكّم الهواري أنه بالرغم من طابعه الأثري، وكونه تلخيصا لتفسير ابن سلام البصري كما ذكر محققه، إلا أنه تصرف في العديد من المواضع بما يوافق مذهبه واختياره، إضافة إلى انتصاره المستميت لعقيدته الإباضية من خلال تفسيره لبعض الآيات، وإن تطلب الأمر تحريف بعض المعاني ولي أعناقها، كما أنه يشنع على أهل السنة في الرد ويذمهم بوصفهم بالكذب والافتراء، وينعتهم بالمشبهة والطائفة الشاكة ... إلى غير ذلك.

---

[24] : تفسير الكتاب العزيز، هود الهواري، 340/2.

[25] : المصدر نفسه، 22//2.

[26] : المصدر نفسه، 107/4.

ثانيا: التفسير الإباضي المتأخر ويمثله تفسير هِميان الزاد وملخصة تيسير التفسير لمحمد بن يوسف اطفيّش

1- التعريف بصاحب التفسير: هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح اطفيّش الوهبي، الإباضي، ولد سنة 1236 هـ في بلدة يسجن في وادي ميزاب بالجزائر، ونشأ بين قومه وعُرف عندهم بالزهد والورع، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو شاب لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، له من المؤلفات في شتَّى العلوم ثروة عظيمة تربو على الثلاثمائة مؤلَّف، من ذلك: تفاسيره الثلاثة: داعي العمل، وهميان الزاد، وتيسير التفسير، نظم المغنى لابن هشام خمسة آلاف بيت، وشرح كتاب التوحيد للشيخ عيسى بن تبغورين، وشرح كتاب العدل والإنصاف في أُصول الفقه لأبي يعقوب الورجلاني، وله في الحديث وفاء الضمانة بأداء الأمانة، وجامع الشمل في حديث خاتم الرسل، وله في الفقه شرح كتاب النيل، وله مؤلفات أخرى في النحو والصرف، والبلاغة، والفلك، والعروض، والفرائض، وغيرها، توفى سنة 1332 هـ.[27]

2- المنهج العام للتفسير:

لخص المؤلف في مقدمة تفسيره منهجه بقوله: " ... فهذا تفسير رجل يسجني إباضي وهبي، ويعتمد فيه على الله سبحانه وتعالى ثم على ما يظهر لفكره بعد إفراغ وسعه، ولا يقلد فيه أحدا إلا إذا حكى قولا أو قراءة أو حديثا أو قصة أو أثرا لسلف، وأما نفس تفاسير الآي والرد على بعض المفسرين والجواب فمنه، إلا ما تراه منسوبا، وكان ينظر بفكره في الآية أولا، ثم تارة يوافق نظر جار الله والقاضي وهو الغالب والحمد لله، وتارة يخالفهما، ويوافق وجها أحسن مما أثبتاه أو مثله ... ويتضمن ـ إن شاء الله ـ الكفاية في الرد على المخالفين فيما زاغوا فيه، وإيضاح مذهب الإباضية الوهبية واعتقادهم، وذلك بحجج عقلية ونقلية "[28].

أما عن طريقته في التفسير فلا تختلف عن طريقة التفاسير التحليلية فيذكر في أول كل سورة عد آيها، والمكي منها والمدني، ثم يذكر فضائل السورة وفوائدها، مستندا إلى الأحاديث الضعيفة في هذا الباب غالبا، ثم يشرح الآيات شرحاً وافياً، فيُسهب في المسائل النحوية، واللُّغوية، والبلاغية، ويفيض في مسائل الفقه والخلاف بين الفقهاء، كما يتعرض لمسائل علم الكلام مع تأثر كبير بمذهب المعتزلة، كما لا يفوته أن يعرض للأبحاث الأصولية والقراءات، وهو مكثر إلى حد كبير من ذكر الإسرائيليات التي لا يؤيدها الشرع، ولا يصدقها العقل.[29]

3- نماذج من تفسيره:

أ- حقيقة الإيمان:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة 03)، قال: " الإيمان يُطلق على مجموع الاعتقاد، والإقرار، والعمل ... فمَن أخلَّ بالاعتقاد وحده، أو به وبالعمل، فهو مشرك من حيث الإنكار، منافق أيضاً من حيث أنه أظهر ما ليس في قلبه، ومَن أخلَّ بالإقرار وحده، أو بالإقرار والعمل، فهو مشرك عند جمهورنا وجمهور قومنا ـ وقال

---

[27] : ينظر: الأعلام، الزركلي، 157/7. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 133/12.

[28] : هميان الزاد، محمد اطفيش، 5/1.

[29] : ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، 237/2.

القليل: إنه إذا أخلَّ بالإقرار وحده مسلم عند الله من أهل الجنة ـ وإن أخلَّ به وبالعمل ففاسق كافر كفر نعمة، وإن أخلَّ بالعمل فقط فمنافق عندنا، فاسق ضال، كافر كفراً دون شرك غير مؤمن الإيمان التام ... واختلف الخوارج وهم الذين خرجوا عن ضلالة علي، فقالت الإباضية الوهبية، وسائر الإباضية فيمن أخلَّ بواحد من الثلاثة: ما تقدم من إشراكه بترك الاعتقاد، أو بترك الإقرار، وينافق بترك العمل، ويثبتون الصغيرة، وقال الباقون كذلك وإنه لا صغيرة، ومذهب المحدثين أن انضمام العمل والإقرار إلى الاعتقاد على التكميل لا على أنه ركن، ونحن نقول: انضمامها إليه ركن، وهما جزء ماهيته" [30].

وخلاصة الكلام أن الإباضية لا يفرقون بين الاعتقاد والعمل في إثبات الإيمان، فمن أخل بأحدهما سقط عنه وصف الإيمان، فتارك الاعتقاد كافر مشرك، وتارك العمل كافر كفر نعمة.

ب– إنكار الرؤية:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ (الأعراف 143)، ذكر عددا من الروايات عن طلب قوم موسى رؤية الله، ثم ذكر رواية أن موسى – عليه السلام – سأل ربه أن ينظر إليه بالمجاهرة ثم عقّب على هذه الرواية بقوله: " وهذه الرواية تقتضي أن موسى يجيز الرؤية حتى سألها ومُنعها وليست كذلك، بل إن صح سياق هذه الرواية فقد سألوه الرؤية قبل ذلك، فنهاهم عن ذلك وحرمه أو سكت انتظارا للوحي في ذلك، فلما فرغ وخرج عاودوه ذكر ذلك فقال لهم: قد سألته على لسانكم كما تحبون، لأخبركم بالجواب الذي يقمعكم لا لجواز الرؤية، فتجلى للجبل بعضُ آياته فصار دكا، فكفروا بطلب الرؤية لاستلزامها اللون والتركيب والتحيز والحدود والحلول، والعجز عن الاستقلال وعما بعُد عن المحل كل العجز أو بعضه والجهل به كل الجهل أو بعضه، وذلك كله يستلزم الحدوث وذلك كله محال عن الله، وإذا كان ذلك مستلزما عقلا لم يختلف دنيا وأخرى، فالرؤية محالٌ دنيا وأخرى، ولا بالإيمان والكفر والنبوة وعدمها "[31].

ج– القول بخلق القرآن:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ (البقرة 106)، قال: " النسخ دليل على أن القرآن حادث مخلوق، ولا نثبت الكلام النفسي فضلا عن أن يقال: التعبير من عوارض ما يتعلق به الكلام النفسي، وهي الأفعال في الأمر والنهي، والنسب الخبرية في الخبر، وفي إثبات الكلام النفسي إثبات كون الله ظرفا ومتحيزا، وإن رجع ذلك إلى العلم لزم أن كل ما علمه قديم، والقرآن هو هذه الألفاظ لا غيرها "[32].

---

[30] : همیان الزاد، محمد اطفیش، 194/1-195.

[31] : المرجع نفسه، 42/2-43.

[32] : المرجع نفسه، 151/1.

د- خلود مرتكب الكبيرة في النار:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة 81) قال: " لا يخرجون منها المشركون والفاسقون، والأصل في الخلود الدوام، وحمله على المكث الطويل إنما يصح لدليل، ولا خلاف في دوام المشرك في النار، ومعنى إحاطة الخطيئة به أنها أهلكته إذ لم يتخلص منها بالتوبة، وليس المراد أنها به؛ بمعنى أنها في قلبه وجوارحه، فلا دليل في الآية على أن الخلود إنما هو لمن عمَّت قلبه بالشرك؛ لأنه إذا صرنا إلى معنى تعميم البدن بالمعصية، ورد علينا أن من جسد الكافر ما لم تصدر منه معصية مثل عنقه وأعلى صدره إذا لم تصدر منهما "[33].

هـ- إنكار الشفاعة لأهل الكبائر:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ (البقرة 48)، قال: " والآية دليل لنا وللمعتزلة على أن لا شفاعة لأهل الكبائر؛ لأن الآية ولو كانت في المشركين لكنها في صفة يوم من شأنه أنه لا شفاعة فيه بدفع العذاب عن مستحقه، ولا مقام أو زمان من مقامات الموقف وأزمنته نص فيهما على ثبوتها للفساق، ولا الشخص المصرّ "[34].

و- موقفه من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ (النور 55)، قال: " قال المخالفون عن الضحاك: إن {الَّذِينَ آمَنُوا} هم عمر وأبو بكر وعثمان وعلي، وأن استخلافهم إمامتهم العظمى، وسيأتي ـ وقد مر أيضا ـ ما يدل على بطلان دخول عثمان وعلي في ذلك "[35].

وقال أيضا: " وفي أيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بعدهم كانت الفتوح العظيمة، وتمكن الدين لأهله، لكن لا دليل في ذلك على إصابة عثمان وعلي فإنهما ـ ولو كانت خلافتهما حقا برضى الصحابة ـ لكن ما ماتا إلا وقد بدلا وغيرا فسحقا "[36].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (النور 55) قال: وأقول والله أعلم بغيبه: إن أول من كفر تلك النعمة وجحد حقها عثمان بن عفان، ثم ذهب يذكر من مثالبه ما هو منه بريء.[37]

---

[33] : تيسير التفسير، محمد اطفيش، 1/114-115.

[34] : المرجع نفسه، 1/71.

[35] : هميان الزاد، محمد اطفيش، 10/280.

[36] : المرجع نفسه، 10/281.

[37] : ينظر: المرجع نفسه، 10/182.

ز- إشادته بمذهبه:

كثيرا ما يشيد الشيخ اطفيش بمذهبه الإباضي ويحسنه، ويرجح أدلته، ويصفه بالحق وأهله أهل الحق، فمثلا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾ (هود 112) قال: " واعلم يا أخي ـ رحمك الله ـ أني استقريت المذاهب المعتبرة؛ كمذهبنا معشر الإباضية، ومذهب المالكية، ومذهب الشافعية، ومذهب الحنفية، ومذهب الحنبلية بالمنقول والمفعول، ولم أر مستقيما منها في علم التوحيد والصفات سوى مذهبنا؛ فإنه مستقيم خالٍ عن التشبيه والتعطيل، حججه لا تقاومها حجة ولا تثبت لها، والحمد لله وحده "[38].

خلاصة تقييمية حول تفسير محمد اطفيّش:

ما يمكن تسجيله حول تفسير الشيخ محمد أطفيش هميان الزاد أو ملخصه تيسير التفسير أن المفسر سار فيه على خطوات التفسير التحليلي المعروفة، ولا ينكر ما في التفسير من فوائد خاصة في الجانب النحوي والبلاغي، إلا أن المفسر كان شديد التعصب لمذهبه مشيدا به منافحا عنه كلما سنحت له فرصة ذلك، فلا يكاد يمر بآية يمكن أن يجعلها في جانبه إلا عض عليها بالنواجذ، ومال بها إلى مذهبه، وجعلها دليلاً عليه، ولا بآية تصارحه بالمخالفة إلا تلَّمس لها كل ما في طاقته من تأويل، ليتخلص من معارضتها، وهو في ذلك متأثر تأثرا واضحا بمذهب الاعتزال في لي أعناق بعض الآيات وبث جملة من المطاعن والشبهات، كما كان شديدا في الرد على المخالفين وذم بعضا من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ.

ثالثا: التفسير الإباضي المعاصر:

التفسير الأول: تفسير في رحاب القرآن للشيخ إبراهيم بيوض

1- التعريف بصاحب التفسير: هو الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، ولد سنة 1313 هـ/ 1899م بالقرارة بولاية غرداية جنوب الجزائر، والده يعد من أعيان البلاد، دخل كتّاب القرية فاستظهر القرآن قبل سن البلوغ، ثم أخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغوية على يد مشايخ القرارة المشهورين، أصبح عضوا في حلقة العزابة، وهي الهيئة الدينية العليا في القرارة، وما لبث أن اعتلى منبر الوعظ بمسجدها، ثم انتُخب رئيسا لحلقتها وهو في السادسة والعشرين عمره، في سنة 1931 م شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأسهم في صياغة قانونها الأساسي، وانتُخب عضوا في إدارتها الأولى، إذ أُسندت إليه نيابة أمين المال، في سنة 1937 م أسس جمعية الحياة بالقرارة المشرفة على التعليم الابتدائي والثانوي، والمنظمة والمشرفة على الحركة الفنية والرياضية، والجمعيات الأدبية بها، وما تزال تؤدي رسالتها تلك حتى يومنا هذا.

شارك الشيخ بيوض مشاركة فعالة في الثورة التحريرية، بما قام به من خدمات جليلة سواء في إطار الحركة في الصحراء، أو في اتصالاته المباشرة مع الحكومة المؤقتة في المنفى بواسطة تلامذته وإخوانه، توفّي بالقرارة سنة 1401 هـ/ 1981 م، له عدة مؤلفات منها: تفسير في رحاب القرآن، البدعة مفهومها وأنواعها وشروطها، فضل الصحابة والرضا عنهم.[39]

---

[38] : هميان الزاد، محمد اطفيش، 212/8-213.

[39] : ينظر: في رحاب القرآن (الإمام إبراهيم بن عمر بيوض) مهرجان ختم القرآن الكريم، تقديم محمد بن صالح ناصر، ص 06. الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، محمد بن موسى بابا عمي، ص 6-11.

2- المنهج العام للتفسير:

تفسير في رحاب القرآن للشيخ بيوض من التفاسير الإصلاحية الاجتماعية، فقد تأثر صاحبه بالمدرسة الإصلاحية للشيخين محمد عبدو ومحمد رشيد رضا، وكذا جمعية العلماء المسلمين التي كان أحد مؤسسيها، ولذا كان تفسير المنار لمحمد رشيد رضا أحد أهم مصادره واستمداداته، ورغم أن الشيخ كان يتبع في تفسيره خطوات التفسير التحليلي المعروفة، إلا أن السمة الغالبة على تفسيره هي الجانب الوعظي والدعوي، فكان لا يطنب في المسائل الكلامية واللغوية بقدر ما يركز على جانب الهدايات والإرشادات، وربط تفسير الآيات والسنن الإلهية بمعالجة قضايا واقعه وشؤون مجتمعه، وقد صرح بذلك في قوله: " إن غرضي من تفسير القرآن هو تربية الناس بالقرآن وتثقيفهم ووعظهم، ومعالجة أمراض النفوس كلها بالقرآن، فإنه شفاء لها كلها "[40].

3- نماذج من تفسيره:

أ- دعوته إلى التمسك بعقيدة السلف:

نص الشيخ بيوض في عدة مواضع من تفسيره على ضرورة التمسك بعقيدة السلف في فهم الأسماء والصفات من ذلك قوله: " إن الواجب علينا أن نتمسك بعقيدة السلف في كل ما يتعلق بشؤون الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى، فنفوض فيها الأمر كله إلى الله ولا نحاول التفلسف لنفهم حقيقة الصفة، أهي عين الذات، أم هي زائدة عن الذات "[41].

وقال في موضع آخر: " وكل ما يجب أن نعتقده أن لله الأسماء الحسنى، وهي صفاته، ولكن لا نعرف لها حقيقة إلا أنه اتصف بها، ويكفينا هذا، نؤمن بما أراد أن يسنده إلى نفسه من أفعال، من غير تشبيه أو تعطيل، والقانون الذي نرفعه هو قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى 11)، فوجوده ليس كوجود المخلوقات وكذا حياته وسمعه وبصره وإرادته وحبه وبغضه وولايته وعداوته وكل شأن من شؤونه خاص به لا يشبهه شيء، وإنما خالق الألفاظ والعبارات، قال لنا: أنا سميع، أنا بصير، فجاءت هذه الألفاظ متشابهة للتي نستعملها، أما حقائقها فنستطيع أن نقول: إن بينها ما بين السماء والأرض، بل أبعد مما بين السماء والأرض ... فدعوا هذا الجدل وتمسكوا بمذهب السلف الذي فيه كل السلامة "[42].

وإن كان الشيخ قد أول بعض الصفات هروبا مما ظاهره التشبيه برأيه، كتأويله للاستواء بالاستيلاء في بعض المواضع، وتأويله للعلو بعلو المكانة لا علو المكان والجهة، وتأويل القرب بقرب المنزلة لا قرب المنزل، وتأويله للقبضة بالقدرة ... إلا أنه لا يلبث أن يعود إلى منهج السلف فيقول عن الاستواء مثلا: " أما الاستواء فحقيقته عند الله تعالى وهو من شؤونه لا نتكلم فيه، وإن كان البعض يفسرونه بالاستيلاء، والعرش كذلك لا يعلم حقيقته إلى الله، والاستواء والعرش من المتشابه، وإنه لمن الصعوبة الخوض في تفسير الآيات التي تتعلق بشؤون الله تعالى الخاصة به، ولكنه تعالى أخبرنا بها في كتابه، فلنا أن نبحث قدر استطاعتنا للوصول إلى شيء تطمئن إليه النفس إن أمكن، وإلا فلنفوض الأمر إلى الله "[43].

---

[40] : أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، 129/3.

[41] : في رحاب القرآن، إبراهيم بيوض، 383/12.

[42] : المرجع نفسه، 359/8-361.

[43] : المرجع نفسه، 30/12.

ب– رأيه في مسألة خلق القرآن:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ (الزخرف 03)، قال: " في الآية مبحث كلامي، إذ يُستدل بالآية على أن القرآن مخلوق ليس قديما، وهذه مسألة كلامية نشبت في الزمان القديم، وكانت سببا في صراع عنيف ونزاع كبير في القرن الأول، وخاصة في القرن الثاني، وتعجبني في هذا الموضوع كلمة قالها الألوسي، قال: " إن دل على المخلوقية فلا يدل على أكثر من مخلوقية الكلام اللفظي، وهذا لا نزاع فيه "[44]، وهذه كلمة حق وصواب وهذا ما نقوله، لأن من صفات الله تعالى الذاتية أنه: متكلم سميع قدير مريد، وأقل ما يمكن أن نقوله لتفهم العامة أنه متكلم ليس بأخرس، بصير ليس بأعمى، سميع ليس بأصم، وهذا تقريب للمعنى وإلا فإنه لن يستطيع مخلوق أن يدرك حقيقة صفات الله الخالق، علمه وسمعه وبصره وقدرته وإرادته، ومنها كلامه، فالله تعالى متكلم.

أما الألفاظ التي ذكرها في كتابه كالجعل والإحداث والإنزال ... فهذا الموصوف بالإنزال وبالجعل وبالإحداث، هو هذا الكلام اللفظي المكتوب في الصحف والذي يقرأ باللسان، وهذا الذي يريده القائلون بقولهم إن القرآن مخلوق، وليس المراد الكلام الذاتي لله تعالى، لأن صفاته ذاتية، والكلام الذاتي قديم الصفات، فالقائل بأن القرآن مخلوق لا ينكر الكلام الذاتي، والقائل بالكلام الذاتي لا يزعم أن هذه الألفاظ قديمة، وهذه مسألة ماتت ويجب أن تبقى في بطون الكتب، ومسائل الخلاف يجب التغاضي عنها لأنه لا فائدة في إثارتها، وإنما على المتعلمين والمثقفين أن يعلموا حقيقتها ثم يسكتوا، ومثل هذه المسائل هي من اختلاف وجهات النظر التي لا توجب شقاقا في الأمة ولا إلزاما بعضهم بعضا، لأن لازم المذهب ليس بمذهب "[45].

ج– موقفه من رؤية الله في الآخرة:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ (الأعراف 143) قال: " إن موسى (عليه السلام) ذهب إلى مناجاة ربه، واستعذب حلاوة المناجاة، وأحس كأن له دالة عند ربه فقال له: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ فرد الله عليه : إنك لن تراني، وليس من شأني يا موسى أن أُرى، ولا من شأني أن يراني مخلوق من مخلوقاتي، وليس من شأن المخلوق أن تكون له قوة واستطاعة على رؤية ربه ... وكيف يراه؟ وفي أي جهة؟ كيف يستطيع هذا البصر الضعيف وهذا المخلوق الحقير أن يحيط علما بالخالق حتى يراه؟ كلا فالأبصار كلها تكل دون ذلك وتعمى "[46].

يظهر من خلال النص أن الشيخ وإن كان على مذهب قومه في نفية رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة، وأن حرف النفي (لن) في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ تفيد النفي المؤبد، ولن يستطيع مخلوق أن يرى خالقة لا في الدنيا ولا في الآخرة، إلا أنه يقدم

---

[44] : تفسير روح المعاني، الألوسي، 64/13.

[45] : في رحاب القرآن، إبراهيم بيوض، 421/17-423.

[46] : المرجع نفسه، 230/4.

المسألة في شكل سهل مبسط ولا يخوض في الجدل الكلامي والنزاع الفكري في توجيه المسألة، كما أنه لا يفند رأي القائلين بالرؤية ولا يشنع عليهم.

د– موقفه من مرتكب الكبيرة والشفاعة:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ (الزخرف 74) قال: " الإجرام يشمل كل معاصي الله تعالى، من الكفر الأعظم والشرك بالله، إلى ارتكاب الكبائر، إلى الموت من غير توبة واستغفار، كل الذين يرتكبون الفواحش والكبائر يطلق عيهم (مجرمون) "[47].

ويقول في موضع آخر: " وإذا تدبر أحد الآيات، ورأى كفر الإنسان بها فإنه لا يستعظم الخلود في النار، إذ قد يقول أحد: كيف يعصي أحد مدة من الزمان في الدنيا، ثم بعد ذلك يذهب إلى النار ويخلد فيها؟ ولكن يا هذا، انظر إلى عظمة من عصيت، وعظم الآيات التي كفرت بها، فلا تنظر إلى المعصية ولكن انظر إلى من عصيته "[48].

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل 90) قال: " كل من ذهب إلى الله بمعاصيه يحملها أوزار وأثقالا على ظهره، ولم يتنصل منها في الدنيا ولم يتب ولم يستغفر ومات على كفره، أو مصرا على معصيته، فإنه وأمثاله يكبون على مناخرهم ووجوههم في النار "[49].

من خلال هذه التفاسير يظهر أن الشيخ بيوض وإن كان على عقيدة قومه بخلود أصحاب الكبائر في النار واستحالة وقوع الشفاعة لهم إلا بالتوبة، فإنه لا يقال ذلك من منطلق تعصبه لمذهبه وإنما يبرره بقوله: " الإيمان بالخلود (أي في النار) يحمل الانسان على الطاعة والمبالغة فيها، ويدفعه إلى التوبة والإنابة، والتنصل من كل تبعة، بخلاف من يعتقد بعدم الخلود، ويقول إن الإنسان يعذب بقدر ذنبه ثم يخرج ... فإن عقيدته هذه تحمله على نوع من التساهل، معتمدا على قوله لا إله إلا الله محمدا رسول الله "[50].

خلاصة تقييمية حول تفسير الشيخ بيوض:

ما يمكن قوله على تفسير الشيخ بيوض أن أثر حركة الإصلاح وجمعية العلماء لمسلمين كان ظاهرا على شخصه، إذ يعتبر مجددا في التفسير الإباضي، متحررا من قيود من سبقه، مبتعدا عن الخوض في الجدل الكلامي، مقربا لوجهات النظر في مسائل الخلاف، مركزا على الجانب الإصلاحي والدعوي من التفسير، ماقتا للتقليد والتعصب المذهبي، وإن كان موافقا لأصول مذهبه في الغالب إلا أن ذلك دون تعصب أو ذم وتشنيع للمخالف، يقول فيه أحد تلامذته: " والشيخ بيوض لا يقلد غيره في التفسير

---

[47] : ينظر: في رحاب القرآن، إبراهيم بيوض، 606/17.

[48] : المرجع نفسه، 189/7.

[49] : المرجع نفسه، 211/8.

[50] : المرجع نفسه، 323/4-324.

ولا يتعصب لمذهبه، بل يتزود لدروسه من أحسن المراجع لكل المذاهب الإسلامية، فيطلع على أقوالها، فيقرر ما يراه موافقا، وقد ينبذها كلها، فيبين ضعفها، فيأتي هو بالشيء الجديد من عنده "[51].

التفسير الثاني: تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن لمحمد بن إبراهيم سعيد كعباش.

1- التعريف بصاحب التفسير: هو محمد بن ابراهيم سعيد المعروف بـ (كعباش)، من مواليد بلدية العطف ولاية غرداية، ولد سنة 1929م، توفي والده وتركه يتيماً فقيراً لا يزيد عمره عن سنتين، فاعتنت أمه بتربيته على حبِّ الله ورسوله، فحفظ كتاب الله في سنٍّ مبكّرة في كتاب القرية، ثم ارتحل إلى معهد الحياة العامر بالقرارة عند الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيّوض، ومكث فيه خمس سنوات من عام 1945 إلى 1950م، وانتقل بعدها إلى تونس، حيث التحق بالجامع الزيتوني أين درس علوم العربية والشريعة، وبالمعهد الخلدوني أين درس العلوم التطبيقية، وذلك إلى غاية سنة 1954 م، ثم انتسب لاحقاً إلى جامعة الجزائر وذلك في أوائل السبعينيات أين حصل على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي سنة 1972 م، له عدة مؤلفات أشهرها تفسيره نفحات الرحمن، جيل النهضة والإصلاح.[52]

2- منهجه العام في التفسير:

تفسير نفحات الرحمن من التفاسير التحليلية المعاصرة المبسطة، اعتمد فيه صاحبه على دقة الأسلوب وسهولة العبارة، والبعد عن التكلف والإطناب، واختار لنفسه طريقة في التفسير تزيد المادة العلمية وضوحا وتقدمها في شكل منهجي منظم، بحيث يبتدئ السورة بمبحث يسمه بـ " بين يدي السورة " يذكر فيه: اسم السورة، المكي والمدني، ترتيب نزول السورة، سبب نزولها إن وُجد، فضلها إن وُجد، ومحاورها الأساسية، ثم يقسم السورة إلى مقاطع وفق المواضيع التي تتضمنها الآيات، ويجعل لكل مقطع عنوانا يمثل الفكرة العامة لآيات المقطع، ثم يعرض المادة العلمية للمقطع في شكل أجزاء وهي:

أ- النص: ويذكر في الآيات القرآنية الخاصة بالمقطع.

ب- التحقيق اللغوي: ويذكر فيه مباحث لغوية دقيقة ومختصرة.

ج- أوجه القراءة: إن وجد ويقتصر على المتواتر

د- البيان والتفسير: يسهب في تحليل الآيات وتفسيرها، وعادة ما يقوم بإسقاط الآيات على الواقع واستنباط الفوائد والهدايات.

---

[51] : نهضة الجزائر، محمد علي دبوز، 76/3.

[52] : موقع الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، تاريخ الاطلاع، 2022/01/24.

3- نماذج من تفسيره:

أ- حكم مرتكب الكبيرة:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (يونس 27) قال: " وعبر عن هؤلاء المسيئين بفعل (كسبوا) للتنصيص على تحمل مسؤوليتهم في ذلك، وبيان ظلمهم لأنفسهم، والتعبير بالسيئات يشمل كل الخطايا كبيرة أو صغيرة مما لم تحصل من المذنب توبة منها قبل الغرغرة، ومن أعظمها بالطبع الكفر بالله ... ثم يجيء التدليل المناسب لأحوال هؤلاء من عذاب النار والخلود فيها، أعاذنا الله من شرها ووبالها "[53].

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ (هود 106-108) قال: " وفي كلا الجزاءين جاء الاستثناء بعد ذكر الخلود في كلتا الدارين، جاء بقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ ، أي كل من جزاءي أهل الجنة وأهل النار يتم بمشيئة الله، وللمفسرين تأويلات في تفسير ذلك الاستثناء، ولا شك أن المقصود بدوام السماوات والأرض هو التأبيد، لأن ذلك جرى مجرى التمثيل، يقول القطب (يقصد محمد أطفيش) ـ رحمه الله ـ: " والسموات والأرض منقطعة، ولكن مثّل بدوامها على طريق العرب في التمثيل لما لانقطاع له بما له انقطاع بعيد "[54] "[55].

ب- رؤية الله تعالى:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ (الأعراف 143)، قال: " وقول موسى (أرني) فيه معنى الاستعانة وطلب الإمداد الروحاني من الرب تعالى حتى يقوى ويرتقي إلى ذلك المقام، ولكن الإجابة الإلهية جاءت نافية نفيا تأبيديا للرؤية في الحاضر والمستقبل، إذ ليس لأحد من الخلق القدرة على ذلك، وقد ظن موسى أن مقام الحظوة التي حباه الله بها في الاتصال

---

[53] : نفحات الرحمن، محمد سعيد كعباش، 6/207-208.

[54] : تيسير التفسير، محمد أطفيش، 7/38.

[55] : نفحات الرحمن، محمد سعيد كعباش، 6/424.

بالملإ الأعلى تخوله تلك الميزة للاستشراف إلى ذلك المقام العالي، ولكن جلال الألوهية فوق الطاقة البشرية المحدودة ... وقضية (رؤية الله) كانت وما تزال مثار جدل كبير بين المتكلمين، فأما رؤيته في الدنيا فهي مستحيلة إجماعا، ويبقى محل الخلاف في رؤيته بالآخرة على اعتبار قاعدة أن (أحكام تلك الدار ليست كهذه)، يقول الإمام ابن عاشور: " وقد يؤول الخلاف بين الفريقين إلى اللفظ، فإن الفريقين متفقان على استحالة إحاطة الإدراك بذات الله واستحالة التحيز "[56] "[57].

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة 22-23) قال: " (إلى ربها ناظرة): خبر ثان قدم عليه (إلى ربها) للاهتمام وإفادة الحصر، ويتردد معنى الكلمة بين الانتظار فيقدر له مضاف، كما قال الإمام علي: ينتظرون إذن ربهم بدخول الجنة، كما يراه الإباضية والمعتزلة، أو هي بمعنى النظر العيني البصري، وليس بمعايير المألوف الأرضي تعالى الله عن ذلك، ولكن بمعايير النشأة الأخرى نفوض فيها الأمر إلى الله في ذلك؛ لأنها من أمور الغيب المطلق، كما يراه أهل السنة ، ولسنا في حاجة إلى الخوض في ذلك الجدل الطويل بين المتكلمين، فلكل من النافين للرؤية والمثبتين لها أدلته وحججه، ومن قلد عالما لقي الله سالما "[58].

ج- رأيه في الصفات:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه 05) قال: " فهو بذلك يجمع بين صفتين هما من خصائص ألوهيته وربوبيته: العطف والرحمة بالخلائق، والقهر والغلبة في تدبير شؤون ملكه، والآية من المتشابه الذي نجعله في معنى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى 11)، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص 04)، يقول القطب ـ رحمه الله ـ: " ومعنى استوائه على العرش أنه ملكه" ثم يقول: " وروي عن الإمام علي كرم الله وجهه: " الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[59] ".[60]

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ (الأعراف 143) قال: " ولا شك أن إسناد الكلام إلى الله تعالى إسناد مجازي، لأن النطق بالألفاظ المفيدة للمعاني وفق مصطلح التكليم لدينا نحن البشر مستحيل على الله، وتبقى

---

[56] : التحرير والتنوير، ابن عاشور، 9/19-92.

[57] : نفحات الرحمن، محمد سعيد كعباش، 5/178-180.

[58] : نفحات الرحمن، محمد سعيد كعباش، 14/235-236.

[59] : تيسير التفسير، محمد اطفيش، 9/119.

[60] : نفحات الرحمن، محمد سعيد كعباش، 8/372.

ظاهرة الوحي في أنواعها الثلاثة أمرا غيبيا نؤمن به إيمانا جازما دون أن ندرك الكيفية التي تتم بها لأنها تقع في دائرة المواهب اللدنية الربانية لا كسب فيها للإنسان العادي "[61].

د- رأيه في مسألة خلق القرآن:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الشورى 03) قال: " هذا هو المقسم عليه من طرف الله تعالى، وهو يتضمن خصائص أخرى مميزة للقرآن تحدث عنها بنون العظمة، وبين أنه جعله قرآنا عربيا، الضمير في ﴿ جَعَلْنَاهُ ﴾ يرجع إلى الكتاب، فهو زيادة على أنه مكتوب، فهو مقروء ميسر بأن يقرأ على ألسنة المؤمنين يحمله الحفاظ في صدورهم، فتهيأت للقرآن ـ بفضل الله ـ الكتابة والقراءة مبالغة في صونه وحفظه، كما وعد الله بذلك في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الزخرف 09) "[62].

4- خلاصة تقييمية حول تفسير محمد سعيد كعباش:

ما يمكن تسجيله حول هذا التفسير أن صاحبه سار على نهجه شيخه إبراهيم بيوض في ترسيخ الجانب الإصلاحي في التفسير الإباضي، حيث أن صاحبه ورغم جنوحه إلى منهج التأويل لبعض الصفات، واختياره لآراء مذهبه في بعض مسائل الخلاف، إلا أن مما يحسب له:

- تجنب الخوض والإيغال في مسائل الخلاف، فعادة ما يمر على مسائل الخلاف ـ بخاصة في المباحث العقدية ـ مرورا عابرا، حيث يقتصر على ذكر الأقوال في المسألة، ناسبا إياها لأصحابها، دون أن يعلق عليها أو يرجح بينها في الغالب، مبالغة منه في الموضوعية والحياد، وحتى لا يؤثر على القارئ أو يمارس عليه ضغطا أو وصاية.

- البعد عن التعصب أو التحيز، فلا نلمس عند المفسر محاولة تطويع معاني بعض الآيات لما يوافق معتقده، أو الاقتصار على قول دون آخر انتصارا لمذهبه واختياره.

- تجنب التشنيع والتجريح للمخالف، فعادة ما يستعمل عبارات مقبولة في التعبير عن آراء المخالفين، فيستعمل مثلا: وقال آخرون، يرى البعض، عند أهل السنة، وخالف آخرون ...

- محاولة الجمع والتوفيق بين الأقوال المختلفة، وتضييق مساحة الخلاف، أو الترجيح أحيانا دون تخطئة أو رد قول المخالف.

---

[61] : المرجع السابق، 178/5.

[62] : المرجع نفسه، 329/12.

الخاتمـــــة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، فقد أتينا إلى خاتمة هذه الورقة البحثية، والتي نخصصها لأهم النتائج:

1- الإباضية هي فرقة إسلامية تنتسب إلى عبد الله بن إباض، وتُجمع كتب الفرق على أن الإباضية فرقة من فرق الخوارج الكبرى، إلا أنها تعد أكثر هذه الفرق اعتدالا وتعايشا، وأقربها إلى أهل السنة.

2- تتفق أصول الإباضية العقدية مع أصول سائر فرق الخوارج في القول بخلق القرآن، وخلود صاحب الكبيرة في النار، وإنكار رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة ...، وتفترق عنها في الحكم على المخالف، حيث يعتبرون مخالفيهم براء من الشرك، ولكنهم كفار بالنعم، ويجيزون مناكحتهم والتوارث معهم.

3- يتميز التفسير الإباضي بالقلة والشحة نظرا لبعض الظروف التاريخية والاجتماعية، وغالب التفاسير الإباضية جزائرية المنشأ، مما يدل على أن بلد الجزائر يعد حاضنة من حواضن العلم والمعرفة، خاصة ما تعلق منها بالقرآن وعلومه.

4- شهد التفسير الإباضي في الجزائر تطورا كبيرا بين القديم والحديث، من حيث المنهج والأصول وطريقة التفسير.

5- يتميز التفسير الإباضي القديم ممثلا في تفسير هود الهواري والمتأخر ممثلا في تفسير محمد اطفيش، بالتعصب للمذهب عقيدة وفقها، ولي أعناق بعض الآيات، وبث جملة من المطاعن والشبهات، والشدة في الرد على المخالفين وذمهم بأبشع الألفاظ والصفات، وانتقاص بعضا من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ.

6- عرف التفسير الإباضي المعاصر جملة من الإصلاحات والمراجعات لآراء المتقدمين، ومرونة وانفتاحا على آراء المخالفين، وبعدا عن التعصب والخوض في مسائل الخلاف وشطحات المتكلمين، واستعدادا جيدا للوفاق والتقارب مع أهل السنة.

7- من النافع المحمود على أهل السنة استغلال هذه الفرصة للتقارب من أجل فتح حوار هادئ وبنّاء مع مفسري الإباضية المعاصرين خصوصا وأعلامهم عموما، يكون مستنده نصوص القرآن والسنة، وغايته معرفة الحق دون تعصب أو تهجم أو تشنيع، لعل الله أن يهديهم سواء السبيل، ويرجعهم إلى منهج أهل السنة سالمين.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

1- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن سليمان الرومي، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1407 هـ/ 1986 م.

2- الإباضية بالجريد، صالح باجية، دار بوسلامة، تونس، الطبعة الأولى، 1396 هـ.

3- الإباضية في ميزان أهل السنة، عبد الله السلفي، د.ط.

4- الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، محمد بن موسى بابا عمي، نشر الكشافة الإسلامية الجزائرية، القيادة العامة والمحافظة الولائية غرداية، ط 1417 هـ/ 1996 م.

5- أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، مطبعة البعث، قسنطينة، الطبعة الأولى، 1974 م.

6- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1992 م.

7- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ/ 2000 م.

8- تفسير الكتاب العزيز، ابن زمنين المالكي، ت: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، 1423 هـ/2002 م.

9- تفسير الكتاب العزيز، هود بن محكّم الهواري، ت: بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990 م.

10- التفسير والمفسرون في غرب افريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1426 هـ.

11- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار وهبة، القاهرة، د.ط.

12- تيسير التفسير، محمد بن يوسف اطفيّش، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، 1407 هـ.

13- جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي، طبع في مصر الطبعة الثانية 1971م.

14- الحق الدامغ، أحمد الخليلي، مطابع النهضة، سلطنة عمان، 1409 هـ.

15- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ناصر بن عبد الكريم العقل، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1419 هـ/ 1998 م.

16- دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، بكير بن سعيد أعوشت، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ/ 1988 م.

17- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

18- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ت: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ/ 1985 م.
19- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ت: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1408 هـ.
20- طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأباضي، سالم بن حمود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1400 هـ.
21- العقود الفضية في أصول الأباضية، سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، 1403 هـ/ 1983 م.
22- في رحاب القرآن (الإمام إبراهيم بن عمر بيوض) مهرجان ختم القرآن الكريم، مقدمة محمد بن صالح ناصر، نشر جمعية التراث، العطف، غرداية، 1989 م.
23- في رحاب القرآن، إبراهيم بن عمر بيوض، تحرير عيسى بالحاج، جمعية التراث، القرارة، من 1992 إلى 2001 م.
24- مختصر تاريخ الإباضية، أبي الربيع الباروني، مكتبة الاستقامة، تونس، الطبعة الثانية.
25- معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1409 هـ/1988م.
26- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حامد الجهني، دار الندوة العالمية، الطبعة الرابعة، 1420 هـ.
27- نفحات الرحمن في رياض القرآن، محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، نشر جمعية النهضة، العطف، غرداية، الجزائر، 1436 هـ/ 2015 م.
28- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، المطبعة العربية، الجزائر، الطبعة الأولى، 1389 هـ/ 1969 م.
29- همیان الزاد إلى دار المعاد، محمد بن يوسف اطفيّش، المطبعة السلطانية، زنجبار، الطبعة الأولى، 1314هـ، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1401 هـ.